الجزء الثالث المجلد السادس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

المحرم ١٤٠٦هـ
ايلول ١٩٨٥م

رُقَيعُ الوالبيّ

حيـاته وما تبقى من شـعره

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تتوالى على الشعراء المغمورين أسباب كثيرة لتستلب قدرتهم وابداعهم وتفقدهم شعرهم الذي عبروا فيه عن تجربتهم ، وحصروا في ابياته همومهم وآمالهم ، فالضياع الذي لازم هذا البعض حرمهم من نعمة الظهور ، وأغلق دونهم أبواب الاستشهاد والقراءة والدراسة ، وأهال عليهم من ركام الزمن ما أثقل كاهلهم فشاهت صورهم وهي تبدو بقايا شخوص لاتكاد معالمها تتميز ، واسماء شعراء يعتريها التصحيف تارة والتحريف تارات وصور قصائد مقطعة تتيه أغراضها في خضم الزخم المتصاعد من قصائد الشعراء الآخرين وهي تتردد في كثير من مصادر الاستشهاد وتطبع في الدواوين ـ على قلتها ـ فالرقيع الوالبي الذي انفرد صاحب (منتهى الطلب) بايراد أربع قصائد من شعره ، تتبدد أشعاره وتعلو اسمه سورة التحريف أحيانا فهو « الرفيع » كما تذكر بعض المصادر وهو « الوالبي » الذي يأتي نسبه مقطوعا وهو رقيع بن عبيد بن صيفي ، وأصبح من العسير جمع هذه الشتات وتوحيد أجزائها المتباعدة بعد أن تمزقت أوصالا وتناثرت قطعا واشلاء حتى اذا كان القرن السادس الهجري فكان ابن المبارك الذي عرف بحبه للادب وشغفه به ، فانصرف الى جمع سفره الكبير الذي حفظ

لنا ذخيرة وفيرة اذ لم يترك ديوانا عرفه أو خزانة كتب الا اطلع عليها ونقل منها وهو ذو بصر بالشعر وعلم بجيده ، وله ذوقه في اختياراته • كما عرفت عنه الدقة في الضبط وتحري الرواية الصحيحة ، وقد جمع في كتابه منتهى الطلب مـن أشعار العرب ألف قصيدة اختارها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم وجعله عشرة أجزاء في ستة أسفار وضمن كل جزء منها مائة قصيدة ولم يخـل بذكر أحد من شعراء الجاهلية والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم الا من لم يقف على مجموع شعره ولم يره في خزانة وقف ولا غيرهـا • وكتب لكل احد ممن ذكره افصح ما قال وأجوده وقد تجلى ذلك في ثقته الكبيرة التي أشـار فيها وهو يختم مقدمته بأنه لو سبر ذلك عليه منتقد بعلم ، عرف صدق ما قال••

ان هذه العناية التي وهبها هذا الباحث الجليل الذي انفق أكثر من أربعين سنة في جمع هذا السجل الحافل والديوان الشعري الكبير ، قد حفظ لنا تراثا من الشعر الذي جمعه من دواوين الشعراء المغمورين التي وقف عليها ، فذكر شعراء لم تذكر لهم كتب اللغة والادب الا أبياتا مفردة •

وهذا يعني ان ابن المبارك قد وقف على مجموع شعر شاعرنا هذا الذي ضاع في زحمة الأحداث وفقد بعد هذا الزمن • فضاعت معه جهود شعرية ، وتجارب انسانية ، ولكن الغريب ان ديوان هذا الشاعر لم يذكر في المصادر التي وقفت عليها ومعظم المصادر التي ذكرته كانت تأتي على ذكره عرضا ، أو تجد في اسمه أو لقبه ما يدعوها الى ادخاله ضمن منهجه التأليفي فابن حبيب يذكره في ألقاب الشعراء /٣٠١ • والآمدي يمر عليه في نطاق ذكره لمن يقع اسمه في حدود ما يأتلف اسمه أو يختلف /١٧٨ ويذكره الفيروزابادي والزبيدي في « رقع » وابن حجر يشير الى اسمه في تبصير المنتبه /٦٠٩ ويقف عليه البغدادي في الخزانة ١/٣٦٤ وشرح شواهد مغني اللبيب ٤/١٤٤ وهو يذكر مسـلم الوالبي ابن أخت رقيع ••

وتجمع هذه النتف على ان اسمه عمارة بن عبيد ورقيع كزُبير شاعر والبي اسلامي اسدي في زمن معاوية أو في أول أيام معاوية، وتبقى حياته غيرمعروفة، وأخباره غير محدّدة .

وقد جمع هذه المصادر الدكتور حاتم الضامن في «قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب » وأشار الى مواضع ترجمته ، وفي اشارة من حديث البغدادي في شرح شواهد المغنى يذكر انه كان عريفا (عاملا على الزكاة) وفي بعض أبيات مسلم بن معبد التي استشهد بها البغدادي بعض الملامح التي توحي بطبيعة العلاقة التي تشد بينهما .

وفي الحديث عن الشاعر رُقيع الوالبي تبرز في قصائده الأربع التي انفرد بها مخطوط منتهى الطلب صورة الصحراء واضحة متميزة ، وتكاد تأخذ الجانب الأكبر والمساحة الأوسع من اهتمامه وهو يمازج بين ذكر المحبوبة وحديث الطبيعة ، ويستمد منهما مادة حديثه الشعري ، ويبدو أن ذكر الصحراء قد استأثر بعاطفة الشاعر ، فانفرد به . واستحوذ على خياله فاستجاب له ، وعشقه فأصبح وجها آخر من الوجوه التي أخلص لها الوفاء اعترافا باحتضانها له ، وتكريما لعطائها الرحب الذي وجد فيه كل طريق يعبر من خلاله عن مشاعره ويهمس في صفائها ما ظل حبيسا في نفسه وهي حالة تكشف عن الجانب النفسي الذي امتلك حياة هذا الشاعر ، وهو يقتفي آثار الشعر ، ويواكب مسيرة الشعراء في بناء القصيدة ، ويلزم نفسه أحيانا بما سار عليه أولئك ولكن احساسه بعشق الطبيعة وشوقه في الاستمتاع بكل مباهجها كان واضحا في ثنايا أحاديثه فالطلل الذي أوشكت أجزاؤه تختفي في القصيدة الأموية كانت له ألوان زاهية في شعره ، وهو يتوزع بين دمنة من آل ليلى مرّ بها بعد حول فسفح الدموع كأرشاش غرب ... وبين كثيب عفا ورسم قديم لليلى بين صارة والقنان ... وهي اشارات تصدر عن تجربة حية عاشت في أعماق نفسه وتسربت

الى دواخله تستثير فيها نوازع الحب والشوق ، ويبعث فيها موجبات الابداع ، وأسباب التواصل ، وعوامل المشاركة الوجدانية الدافقة فهو يعيش في أعماقها حياته ، ويعبر في صورها وحركاتها وصفائها عن كل خاطرة يجدها واضحة في هذه الصور والحركات ، فالطلل في اعراف الشعراء القدامى يمثل اللوحة الخالدة التي تكتب عليها صفحات الحياة ، وتقرأ في سطورها أسفار التاريخ، وينسج في اطارها سجل المفاخر وتراق على حواشيها وفي ظل زواياها خواطر الانسان وأشواق النفوس ، وهموم البشر وتسعد في النظر اليها عيون الأوفياء ونظرات المحبين وخوافق القلوب الولهى .. وهو الرمز المتميز في الامتداد الجغرافي زمانا ومكانا ، والصلة الوثيقة التي تشد الانسان بالماضي وتحكم صلته الوجدانية بما جدّ فيه من ذكريات وايحاءات ومنظر الطلل في هذه القصائد المتبقية من شعره يقرب من منظر الطلل في قصائد الشعراء القدامى بكثير مما استقر في وصفهم التقليدي من دمن سأل عنها ، وربوع غشيها ، ونؤي يهديها مديحه، وأرض تصيحها هجان، وروابي تزينت بِخُلَق وخَلْقٍ، ورسوم وقف بها فظل الدمع يجري ؛ وربع يضنّ بالبيان . وأسماء مواضع تتناثر في أحاديثه ، واصحاب يُسرّ اليهم عزاءه ، وآخرون من الخليّين يطلبون منه الانتظار ، ورفاق يعجلهم للرحيل . لأن المنى لحاق بالاحبة .

واذا كانت التقاليد الفنية لبناء القصيدة قد اكتسبت شكلها المتكامل في المراحل التي مر بها بناء لقصيدة من حيث الصور البلاغية والقوالب التشبيهية واختيار العناصر المؤثرة فيها والعوامل الواضحة في هذا التأثير وما يرافق هذا التفاعل فان الشاعر رُقيع ــ وفي هذه القصائد المختارة ــ كان شاعرا من شعراء هذه الحلقة الفنية التي بقيت تأثيراتها تبرز في نماذج شعراء ، ولكنها لم تكتسب الطابع الذي اتضحت معالمه عند كثير منهم في المراحل المتقدمة لأسباب اقتضتها طبيعة البناء الفني وذوق العصر والتغيّر الواضح في التركيب الاجتماعي

والنفسي والثقافي •

أقول اذا كانت هـذه التقاليـد قـد وضـحت بعض مظاهرهـا عنـد شاعرنا فان التميز الواضح في هذا البناء كان الحـركة المستمرة في الصـورة بعد أن اتخذ من الرحلة منهجا للتعبير عن أغراضه ، ووجد في الصورة المتحركة وسيلة شافية لما اخذ نفسه به من توجهات ، واصبحت الأبل وما يضفى عليهـا من تشبيهات هي التي تساعده على اكمال الصورة الجمالية بعد أن أجهد نفسه في تلوين أشكالها ، واعداد أوصافها ، واظهار براعتها فهي ناقة قوية ضخمـة سريعة ، تواصل السفر ، سريعة اللحاق بالرحل ، اذا علت السهب من الارض كأنها سابحة ، وأصبح الرفاق مستودع سـره ، أملكهم ظهور المطايا وضاقت بهم الصحارى فأناخوا وما يدرون من طول السرى ، أقفٌ ارضهم أم اباطح ينامون خلسة ثم يريعهم صوته وهو ينادي ليلى ، ويذكر ايامه فتهيج احزانه • فينهضون ليشدوا النسوع على نجب ركبت صلاب الارض وحرارها ، ورعت الطلح فصغرت ضروعها • وانصبّت صدورها وانحدرت مسرعة أيديها ، وتتكر بعض هذه الصور في القصائد الاخرى •

والصورة التي يقدمها الشاعر هي صورة المنظر الذي عودنا الشعراء عليه وهم يخترقون الصحراء ، بمراكب قوية ، فتبتعد بهم حيث يشتد التعب ، ويقل الماء ، وحيث يتلاقى القفّ والكثيب وقد تراءى لهم منظر الماء ولم يكن عليه ورد غيرهم • فيدلون بدلولهم فيعود السجل اليهم بماء آجن تغير طعمه ، كأن به غَسلةٌ من الحناء والصبيب ، ولم يكن امامهم غير هذا الطريق فيبدأون بصب الماء في حفرة لتستقي منها الابل ويستقوا هم منها ليأخذوا طريقهم ثانية في اختراق المفازة (البائية) ولابد أن تقترن هذه اللوحة بمنظر السراب يُزهي حمولهم وقد اكتست الرمال بأرديته البيضاء • ويبقى هذا الامتداد التصويري، واللوحات الفنية التي يتوالى على ذكرها الشاعر هي الطابع العام الذي استغرقته

هذه القصائد الاربع .

وان الاغراض التي حاول أن يقدم لها بهذه المقدمات كانت تأتي عرضا ، تختزل أبياتها وفق أشكال تكاد ألوانها تبدو باهتة في الاطار العام للوحـة . فالقطعة (الحائية) يقدم لحديثه عن الفخر وذكر أيامه حوالي أربعة وعشرين بيتا يستدرج فيها حديث البعد والنأي والجهـد المضني الذي تحمـله الذكريات التي اهتاجت ويتسلل لذكر بعض الصفات التي يمهد لها مثل عزة النفس والأباء، وهي ايحاءات معروفة تسهل له الطريق للولوج وتعبّد لغرضه سلاسة الوصول وتهيىء السامع لما يمكن أن يصل اليه فهو يكفي الجاني يأسـا ويفض الجمع بخيل كأنها الجراد وقد صبر للحرب والصبر فيه سجية ، بفتيان صدق وكهول حجاج وقد جربوا في الحرب فكانوا رجال طعان في النحوز وفي الكلى وضرب في الجماجم حتى حقق النصر وفاز بالمجد ، وفاء عدوهم بحقده وماتت النفوس التافهة ، وكان فرسان قومه حماة للحقيقة ، وجوههم بيضاء مسامحة .. وبعـد أن فرغ من الحديث عن قومه ينتقل الى الحديث عن نفسه وهي صورة أخرى من صور الحديث الجماعي الذي تنفي عن العربي فرديته ويبتعد عنه الشعور بالانانية فما سب له خال ، وما سب له أي غدر ولم تمسس قناته القوارح ، فهو سباق للرهان ، مجرب اذا دعي . مستجيب للنداء اذا كثرت الصوائح وهي الصفات التي عاشت في كل وجدان عربي وخصال ظل الشعراء يتغنون بها لأنها النموذج الأمثل في الخلق ، والرمز الاعلى في الاقتداء ولم يبتعد الشاعر عـن الاطار التقليدي الذي يحكم شدّه على بناء القصيدة معنى ومبنى ولا يحاول ان يخرج عليه مهما ابتعد عن بعض الجزئيات ، فالعاذلة تبقى صـورة تخيف الشاعر فيطلب منها التريّث ، والسبب الذي يستوحي منه الحكمة لانها تكثر اللوم وتلح في العتاب وهي نمط آخر من التقليد أو التجسـيد الذي وصفه الشعراء لانفسهم وهم يستوحون منه فلسفة الاحسـاس بمعالجـة الفكرة ،

ويستمدون من تصوره موجة التبصر بما يمكن أن يكون عليه الانسان ليصبح في موقف الدفاع عن فكره وفي الطرف الثاني من المعادلة التي يراه الناس من خلالها ..

أعاذل مهلاً انما المرء عامل" فلا تكثري لوم النفوس الشحائح

والعاذل في أعراف الشعراء امرأة وهو جانب آخر له دلالته في هذا البناء الشعري الذي انحصر في دائرته الشعراء وان دواعي الهموم التي استثيرت في القصيدة كانت سببا من أسباب الاعتراف بقدرة الانسان اذا عزم وان كانت حالة التشاؤم قد انتهت فيها أبيات الشاعر الذي ختم القصيدة به فالموت نهاية محتومة .

ويعالج في القصيدة النونية موضوعا تحدث فيه مفتخرا ، بشجاعته وجرأته وسبقه في كل يوم ، ويعطف في نهايتها على (زينبة) وهي تضحك من شحوبه.. وهنا يطالعنا نمط آخر من التأثر الواضح بما فرضته التقاليد الفنية ، بعد أن عودنا الشعراء على مثل هذا الضرب وهم يشيرون الى شحوب الجسم وشيب المفارق ويعللون ذلك بروعات الزمان والهم المضاف ويظل الشباب خليل صدق ورفيق وفاء وبعدها تنتهي ومضات الاشراق ويختتم القصيدة بان كل ندماء الصفاء ينتهون الى أجل ويفترق الندمان وفي هذه النهايات تتحدد الوجهة التي انتهى اليها الشاعر ، هي أقرب الى التشاؤم وأدعى الى الزهد . وربما كانت مثل هذه الأبيات المتناثرة تمثل التواصل الشعري لهذا التيار الذي أصبح غرضا مستقلا في العصر العباسي .

واذا كانت دراسة القصائد الشعرية ترسم خطوطاً متباعدة لحياته التي لم يتضح كثير من معالمها فان اسمه عمارة بن عُبَيد بن حبيب ، وهو من بني أُسامة بن ثمير بن والبة (أسد) . عرف في بواكير عهد معاوية ٤١ ــ ٦٠ ،

ويبدو انه يعيش بعيداً عن حيـاة المدينة واستقر في مضارب قومه وبين أبناء قبيلتـه[1] .

كانت له أشعار في كتاب بني أسد وهو أحد مصادر الآمدي . ولعـل صاحب منتهى الطلب قد اعتمده في اختيار قصائده التي تعـدّ أكبر مجموعة شعرية له يقدمها هذ الكتاب .

وابن أخيه مُسلم بن معبد الوالبي الذي يذكر بعض أخبـاره صاحب الخزانة [2] كان يتعاطى التجارة ويتردد على الشام ويبدو ان قبيلته قد جفتـه وأحسّ بجحود أبنائها بعد أن كتبت ابله للمصدّق (عامل الصـدقة) وهي الزكاة وكان رقيع عريفاً فظن مسلم أن رقيعاً أغراه . وكان مسلم ابن اخت رقيع وابن عمه وله في ذلك قصيدة .

واذا كانت أخباره قد طوتها حقب الماضي فان بقية شعره الذي ضاع مع شعر بني أسد قد احتفظ بها صاحب منتهى الطلب وهي محـاولة في تقويم شخصيته الشعرية من خلال القطع التي وجدناها متناثرة في بقية المصادر وهي محاولة تدخل في اطار اهتمامنا بجمع أشعار هذه الفئة من الشعراء الامويين الذين توزعت قصائدهم في دواوين القبائل التي لم يبق منها الا ديوان هذيل وهي ظاهرة غريبة تدعو الى التأمل بعد أن أحصى الآمدي أكثر من سـتين ديواناً ووقف ابن النديم عند ذكر كثير منها . والله أسـأل التوفيق لجمـع أشتات هذه القصائد ، انه المعين والموفق .

---

(١) فؤاد سزگين : تاريخ التراث العربي ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث .
(٢) البغدادي : صاحب خزانة الادب ٣٦٦/١ وشـرح ابيـات مغني اللبيب ١٤٣/٤ ـ ١٤٤ ، ١٤٦ .

قصائد رقيع الوالبي

- ١ -

وقال رقيع واسمه عمارة بن حبيب أخو بني أسامة بن نمير بن والبة وهو اسلامي في أول زمن معاوية بن أبي سفيان :

أَمِنْ دمْنةٍ مِن آل ليلى غشيتها
على تمٍّ حوْلٍ ماءُ عَيْنَيْكَ سافحُ
كأرشاشِ غَرْبٍ بينَ قَرْني محالةٍ
مُقَحمهُ دامي السلائقِ ناضحُ
على جرْبَةٍ تَسْنُو فللغَرْب مَفرغ
حثيثٌ وماءُ البئر في الدبْرِ سائحُ
لَعَمْري وماعمْري عليَّ بهينٍ
لَقَدْ طوّحتْ لَيْلَى الديارُ الطوارحُ
ومَرَّ ببينٍ عاجلٍ مِن وصالها
سوانحُ طيْرٍ غُدْوةً وبوارحُ
فقلت لأصحابي أسِرّ اليهم
عزاءٌ كأنّي بالذي قلْتُ مازحُ
صَحا القلبُ عن ذِكْرِ الصبا غير أنّني
تُذكّرني لَيْلَى البَرُوقُ اللّوامحُ
وعنَّ الهوَى والشوقُ أمسى جميعُهُ
بلَيْلى وممْساها عن الأرضِ نازحُ
فيالَيْتَ لَيْلَى حين تَنْأى بها النوى
يخبّرنا عنها الرياحُ النّواتحُ

فتُخْبرُنا ما أحْدثَ الدهرُ بَعْدنا
وانّ الذي بيني وبيْنَكِ صالحُ
بعيدٌ عن الفحشاء عفٌّ عن الأذى
ذليلٌ دلال عند ذي اللبّ رابحُ
عَزيزٌ مَنَعْنا بابَهُ لا ينالُهُ
صديقٌ ولا بادي العداوةِ كاشحُ
ودَويَّةٍ من دون لَيْلَى مَظنَّةٍ
بها من غواة الناسِ عاوٍ ونابحُ
قَطَعْتُ بموّار الملاطيْنِ مِمعجٍ
اذا بَلَّ ليَتَيْه من الماءِ ناتحُ
هِبلٌ مثلٌ أرْحَبِيٌّ كأنهُ
اذا ما علا سهْباً من الأرضِ سابحُ
سريعِ لَحاقِ الرَّحلِ غالٍ بصَدْرِه
اذا اغْتالَت السَيْرُ الصّحاري الصحاصحُ
وشُعْثٍ نشاوَى بالكَوَى قد أَمَلَّهُمْ
ظهورُ المطايا والصّحارِي الصَرادحُ
أناخوا وما يَدْرونَ من طول ما سَرَوْا
بحقٍّ أقفٍّ أرْضُهمْ أمْ أباطحُ
فناموا قليلاً خَلْسَةً ثمَّ راعَهُم
نِداي وأمرٌ يَفْصِلُ الشكَّ جارحُ
لذِكْرَى سَرَتْ من آلِ ليلى فهَيَّجَتْ
لنا حزناً بَرْحٌ من الشَوْقِ بارحُ

وقَدْ غابَ غَوْرِي" من النجم لو جرَى
لغَيْبُوبةٍ حتى دَنَا وهو جوانحُ
فقاموا بظِئرانٍ فشدّوا نسوعَها
على يعملاتٍ منعلاتٍ طلائِحِ[1]
كِماشٍ تواليها صِيابٍ صدورُها
عباهِيمُ أيديها كأيدي النوابحِ
تَشكّى الوَجَى من كلِّ خُفٍّ ومَنْسِمٍ
على أنها تُؤْتي الحَصَى بالسرائحِ
وداعٍ مُضافٍ قد أَطَفْنا وراءَهُ
وجانٍ كَفَيْنا البأسَ والبأسُ طالحُ
وحَيٍّ حَلالٍ قَدْ أَبَحْنا حِماهُمُ
بوَرْدٍ ووَرْدٍ قَدْ لَقِينا بناطحِ
وجَمْعٍ فَضَضْناهُ وخَيْلٍ كأنّها
جراد تلقى مَطْلَعَ الشمسِ سارحُ
صَبَرْنا لهم والصبرُ منا سَجِيَّةٌ"
بفتيان صدقٍ والكهولِ الجَحاجحِ
ففاؤوا بطَعْنٍ في النحورِ وفي الكُلَى
يجيشُ وضَرْبٍ في الجماجِمِ جارحِ
فَفُزْنا بها مجداً وفاءَ عَدُوِّنا
بحِقدٍ وقتلٍ في النفوسِ الأوانحِ
فوارِسُنا الحامو الحقيقة في الوَغَى
وأيْسارُنا البيضُ الوجوهِ المسامحُ

(١) في بعض ابيات القصيدة اقواء .

وما سُبَّ لي خالٌ وما سُبَّ لي أَبٌ
بغَدْرٍ وما مَسَّتْ قناتي القوادحُ
وانّي لسَبّاقُ الرِهانِ مُجَرَّبٌ
اذا كَثُرَتْ يومَ الحِفاظِ الصوائحُ
أَعاذِلَ مَهْلاً انّما المرءُ عامِلٌ
فلا تُكْثِرِي لومَ النفوسِ الشحائحِ
دعيني وهَمّي انْ هَمَمْتُ وبُغْيَتي
أعِش في سوامٍ أو أطِحْ في الطوائحِ
فَلَلْمرءُ أَمْضَى مِن سنانٍ اذا مَضَى
ولَلْهَمِّ أكْمَى من كَمِيٍّ مشايحِ
فانْ أَحْيَ يوماً أَلْقَ يوماً مَنِيَّتي
ولابُدَّ من رَمْسٍ عليهِ الصفائحُ

وقال رقيع أيضاً :

- ٢ -

عَفَتْ فَرْدَةٌ مِنْ أَهلِها فشطيبُها
فجِزْعُ مُحياةٍ عفا فكَثِيبُها
عُفُوٌّ التي امّا بلاداً تَبَدَّلَتْ
واما نَهَى شوقَ النفوسِ مشِيبُها
ولم تَدْرِ نفسُ المرءِ ما يَجْلُبُ الهوى
اليها ولا في أي حَيٍّ نَصيبُها
أفي الكُرْهِ أو فيما يُحبُّ وانّما
يُعاقِبُ أو يعفي النفوسَ حَسِيبُها

يُساقُ فيُلْقَى أو يُقادُ فيَنْبَرِي
اليهِ بمقدارٍ حمام يُصِيبُها
نَعَمْ ليسَ عند اللّهِ ظُلْمٌ لتائبٍ
يتوبُ ولا ذي قُرْبَةٍ يَسْتَثيبها
فقد طالَ ما مَيَّلْتُ بالغي حقْبَةً
وبالرُّشْدِ والأخلاقُ جَم ضُروبها
وقَدْتُ وقادتني رياضٌ بهيجَةٌ
جميلٌ تناهيها طويلٌ عُزُوبُها
وأَبْلَتْ وأَبْقَتْ من حياتي قصائداً
يفدّي ويَسْتَبكي الرواةَ غَريبُها
هَلِ الحلمُ ناهي الجهلِ أو رائِدُ الصِّبا
يُنَجيكَ مِنهُ توبَةٌ لو تتوبُها
وقد كانَ أيّامُ الغواني ضَمَانَةً
مِن الداءِ يعيا بالشفاهِ طبيبُها
ولا مِثْلَ يومٍ من جَنُوبٍ تَضَعْضَعَتْ
فؤادَكَ والأيامُ جمٌّ عَجيبُها
دَعَتْهُ جَنُوبُ النَوْفَلِيَّيْنِ بالهَوَى
فما للشَّذى المدعُوّ هَلاَّ يُجيبُها
بِلَبَّيْكَ أو يُهدي لها حُسْنَ مِدْحَةٍ
تُصَبِّحُها في أرضها وتؤوبُها
هِجانٌ تَنَمَّتْ في الروابي وزُيِّنَتْ
بخُلْقٍ وخَلْقٍ كاملٍ لا يعيبُها

كأنّ نَقاً من عـالجٍ حيثُ تلتقي
ملاحفُهـا اذْ أزّرتْ وسُـبوبُهـا
وما بَعُدَتْ مِنّا وفي اليـأْسِ راحـةٌ
ومـا اقتربَـتْ الا بعيـداً قَريبُهـا
مَرَادُ شَموس الخيـلِ تـدنو وتَتّقي
يَـد الـرب حتى لا يُنـالَ سَـبيبُها
فَقَدْ أُعْطِيَتْ فوقَ الغواني محبّـةً
جَنُـوبٌ كمـا خيرُ الريـاحِ جَنوبُهـا
اذا هي هَبّتْ زادَتِ الارضُ بَهْجَـةً
يَمـانيّة يستنشِـرُ الميـتَ طيبُهـا
أَدَلّ دليـلُ الحُبِّ وَهْناً فزارَنا
وأحْـجِ بنَفْسٍ أن يُلِـمّ حَبيبُهـا
بِغيدٍ على قُودٍ سَرَوْا ثُمّ هَوّمُوا
بِدَوْيّـةٍ يَعـوي من الفَقْرِ ذِيبُهـا
بعيدةِ ماءِ الرّكْبِ يَغْتالُ سَيْرَهُمْ
اذا قرّبـوا غيطانُهـا وسُـهوبُهـا
اذا ما تَدَلّى النجمُ واعْصَوْصَبَتْ بِهِمِ
نجـائبُ صُهْـبٌ ضُمّـرٌ ونَجيبُها
تَرَامتْ بِهِمِ أَرضٌ وأَرْضٌ فأَصبحوا
بحيـثُ تـلاقي قُفهـا وكثيبُهـا
وقـالوا دُلُوكُ الشمسِ ما يورِدَتْكُمْ
بجهـدٍ ومنهم مـن يقولُ غُروبُهـا

فجـاؤوا ولا وِرْدٌ على الماءِ غَيْرُهُمْ
ولا المـاء مأمـونٌ الحيـاضِ شـريبُها
فأَدلَوْا فرَدُّوا سَـجْلَ أَجْنٍ كأَنّما
بـه غسـلةٌ حنـاؤهـا وصبيبُهـا
فعـادُوا فسامُوهـا لـكلِّ مَطِيةٍ
مِـن الشربِ ما أدى اليهـا ذَنوبُهـا
فلمّا سَقَوْها واسْتَقَوْا قَلَّصتْ بِهِمْ
تخطـى أهـاوٍ يـاً لأخـرى تجوبُهـا
تَرَاعَى بأَثْلامِ الرِعـانِ كأَنّهـا
عـلى مستوى اصعادُهـا وصُبوبُهـا
تقاسي أُلاتَ الضَّغْنِ منها فَتَرْعَوِي
وبـالنَّقْرِ والأشـلاءِ يُرقى أديبُهـا
متى ما تَدَعْنا أو نَدَعْها لغيرِنـا
فقـد أعمِلَتْ حيناً وحَلَّتْ لُحوبُهـا

وقال رقيع الوالبي :

- ٣ -

أَجِدَّكَ شاقَتْكَ الحمولُ البواكِرُ
نَعَمْ ثُمَّ لم يَعْذِرْكَ بالبينِ عـاذِرُ
بَلَى انّ نَفْسِي لم تَلُمْني ولم أَبِتْ
على غـدرَةٍ والخـائنُ العهـدِ غـادِرُ
ولم أدْرِ ما المكرُ الـذي أَزْمَعُوا بِنا
فـأحـذَرَهُ حـتى أمِـرَّ المرائِـرُ

وحتى رأيتُ الآلَ يُزهي حُمُولَهُمْ
كما استَنَّ من فوق الفُراتِ القراقِرُ
فَسَبَّحتُ واستَرْجَعتُ والبَينُ رَوعةٌ
لمن لم يكُنْ ترعى عليهِ المقادِرُ
وآنَسْتُ في الأعداءِ حولي شَماتَةً
بها نظَرَتْ نحوي العيونُ النواظِرُ
وقالَ الخَليُّونَ انْتَظِرْ أنْ يصورَهُمْ
اليكَ اذا ما الصيفُ صارَ المصائرُ
فقلتُ لأصحابي ارْحَلُوا انّما المنى
لَحاقٌ بهم ان بلّغَتْنا الأباعِرُ
تُودِّعْ وداعَ البَيْنِ أوْ تَرْتَجِعْ هَوىً
جديداً على عصيانِ من لا يؤامِرُ
فما أَلْحَقَتْنا العِيسُ حتى تَفَاضَلتْ
وحتى علا طيَّ البُرينِ المكاوِرُ
وحتى اعتَمَنَ البِرسَ من خَلجِها البُرى
يكونُ لثاميهِ الذي لا يُطايِرُ
اذا ما تَغَنّى راكِبٌ أَجْمَرَتْ بهِ
جُماهِرَةٌ خَطّارَةٌ أو جُماهِرُ
تَسُوفُ لِطَرْفِ العَيْنِ أمّاً ورِقْبَةً
شديد حَزيمِ الزور بالسَّيْرِ ماهِرُ
مُجِدٌّ كقِدحِ الفَرضِ بالكَفِّ صَكَّةً
على عادةٍ منه خَليعٌ مُقامِرُ

بحيثُ التَقَتْ أحلاسُهُ من دُفُوفِهِ
موارِدُ من أنساعِهِ ومَصادِرُ
اذا شَكَّ لَحْيَيْهِ لُغامٌ أزالَهُ
سَدِيسٌ ونابٌ كالشَّعيرة فاطرُ
وحبّ حبيبٍ قَدْ دعاني لَهُ الهوى
وراحِلَةٍ قَدْ أعمَلتها تُماضِرُ
عَشيَّةَ سَلَّمنا عليها فَسَلَّمَتْ
فماذا ترى أم أي شيء تُحاذِرُ
فَقُلْتُ لها عن غيرِ سُخْطٍ ولا رِضىً
أغَيْرِيَ أم ايَّايَ غَيْثُكِ ماطِرُ
فَقالتْ تَعَلَّمْ أهْلُنا ليسَ فيهِمِ
بكلٍّ الذي تَلْقى من الوجدِ عاذِرُ
فَكُنْ منهم ان كنتَ ترجو هَوادَةً
على حَذَرٍ ما دام للزيتِ عاصِرُ
وَكَيْفَ ولا أنساكَ عن طولِ هِجْرَةٍ
فأسْلُوَ الاّ رَيْثَ ما أنا ذاكِرُ
طِوالَ الليالي ما تَغَنَّتْ حمامةٌ
يَميحُ بها غُصْنٌ وبالريحِ ناضِرُ
تُثَنّي جَناحَيْها اذا آدَ غُصْنُها
حِذاراً وهَولاً أن تَزِلَّ الأظافِرُ
يُجاوِبُها في الأيكِ من بطنِ بيشَةٍ
على هَدب الأفنانِ وُرقٌ نظائِرُ

صَوادحُ مثلُ الشَرْبِ يُبدي رنينُها
من الشوق ما كانت تُسِرُّ السرائرُ
كأنَّ الذي يَنْعى لها الميْتَ مَلْعَبٌ
لأصبَهْبَذٍ تُجبى اليهِ الدَّساكِرُ

وقال رُقيع :

- ٤ -

غَدَتْ عَذَّالتايَ فقلتُ مَهْلاً
أفي وَجْدٍ بليلى تَعذُلاني
أعاذِلَتَيَّ مَهْلاً بَعضَ لومي
كفاني من عنائكما كفاني
أقِلِّي اللَوْمَ قَدْ حَرَّبْتُ عَيْشي
وقدْ عُلِّمْتُ ان عِلمٌ نهاني
اذا طاوَعْتُ عِلْمَكُما فمَنْ لي
مِنَ الغَيْبِ الذي لا تَعلمانِ
خَلِيلَيَّ انْظُرْ ... لَعَلَّي [1]
أقضي حاجتي لو تربعانِ
أَلِمّا بي على رَسْمٍ قديمٍ
لليلى بينَ صارةَ والقَنانِ
وَقَفْتُ بها فَظَلَّ الدمعُ [2] يجري
على خَدَّيَّ أمثالَ الجُمانِ

(١) كذا في الأصل .
(٢) في الأصل : فطل الربع .

نسائلُ أيْنَ صارَتْ دارُ ليلى
فَضَنَّ الربعُ عَنا بالبيانِ
نَأَتْ ليلى فلا تَدْنو نَواها
ولو أشفى بِمَنْطِقِها شفاني
ومومـاةٍ تَمَلُّ العيسُ حتى
تقطعها به بِغِيطانٍ بطان
وَهَمٍّ قد قَرَيْتُ زَماعَ أَمْرٍ
اذا ما الهم بالنَّصْب اعتراني
قَطَعْتُ بناتِحِ الذِّفْرى سَبَنْتى
سبوح المشي عوام الحرانِ
أَشُجُّ به رؤوسَ البِيدِ شَجّاً
اذا ما الآلُ ألوى بالرعانِ
اذا ما القومُ مَنَّوْا حادِيَيْهِمْ
دُنوَّ الشيء ليسَ لهم يدانِ
هناكَ أُهينُ راحلتي ورَحْلي
وما لِرَفيقِ رحلي مِن هوانِ
فَذَرْ هذا ولكِنْ غَيْرَ هذا
عَنَيْتُ من المقالةِ أو عَناني
فانْ كانَ العداوةُ مِنكَ حَقّاً
تُجدِّدُ لي اذَنْ حتى تراني
فننظُرُ ما لَدَيْكَ اذا التَقَيْنا
وتَنزعُ انْ جَريتَ وأنتَ وانِ

فانْ تَعْجِزْ فَقَدْ أبلَيْت عَجْزاً
وان تصبِرْ فأنتَ على مكان

تُوارِّثني الغُواةُ فَجَرَّبوني
حَفيظَ العَقْبِ جياشَ العِنانِ

لي السَّبْقُ المبرِّزُ كلَّ يومٍ
اذا صاحَ الجوالِبُ بالرهانِ

أصابَ الدهرُ من جَسَدي وأبقى
كما يبقى من السيفِ اليماني

وَقَدْ ضَحِكَتْ زُنَيْبَةُ من شُحُوبي
وشَيبٍ في المفارقِ قَدْ عَلاني

وَمَاذَا الشيبُ عَنْ قِدَمٍ ولكِنْ
أشابَ الرأسَ رَوعاتُ الزَّمانِ

وَهَمٌّ داخِلٍ أَفْنى ثَنَاهُ
سَوادَ اللَّحمِ مني فابتَراني

وَمَا قالَتْ مقالَتَها بِغِشٍّ
ولكِنْ هوَّلَتْ من أنْ تَراني

وكانَ ليَ الشبابُ خليلَ صِدْقٍ
فبانَ وما قَلَيْتُ ولا قَلاني

كذلكَ كلُّ نَدْمانَيْ صَفاءٍ
الى أجلٍ هما مُتَفَرقانِ

- ٥ -

وقال رفيع بن أُذيل الاسدي :

١ـ ومولىً على ما رَابني قد طوَيتُهُ
حِفاظاً وحاربتُ الذين يَحاربُ
٢ـ واعرضت عنه بعد ما مال رأسُهُ
فعادَ وأدَّته اليَّ التجاربُ

التخريج :

البيتان في حماسة البحتري / ٢٤٦ (وقد آثرت ان اذكر اسم الشاعر بالصورة التي أوردها صاحب الاختيار ليقف عليها القارىء وان كنت قد صححت الاسم في مقدمة الدراسة) فهو رقيع وليس رفيعا .

- ٦ -

اخبرنا ابو القاسم عبيدالله بن عثمان بن يحيى قال : اخبرنا ابو عبدالله محمد بن احمد الحكيمي قال : أملى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال : انشدنا ابن الاعرابي لرقيع الوالبي :

كَذَبَتْكَ ما وَعَدَتْكَ أمسِ صَلاحُ
وعسى يكونُ لما وُعِدْتَ نجاحُ[1]
بُرْءٌ من السقم الطويل ضَمانُهُ
لا يستوي سَقَمٌ بكم وصِحَاحُ
أصلاحُ انَّكِ قد رَمَيْتِ نوافذاً
وجَوائفاً ليست لهُنَّ جِراحُ[2]

---

(١) صلاح : اسم امراة يقول : كأنها وعدته بالوصال الذي يبرىء سقمه .
(٢) نوافذ : اي سهاما نافذة . وجوائف : اي تبلغ الجوائف .

ولقد رأيتُكِ بالقوادمِ لمحةً
وعليَّ من سَدَفِ العشيِّ رَياحُ[٣]
ما كان أبصرني بِغرّات الصِّبا
فاليومَ قد شفَعتْ ليَ الأشباحُ[٤]
ومشى بجنب الشخصِ شخصٌ مثلُهُ
والارضُ نائيةُ الشخوص بَراحُ
حَلَق الحوادثُ لِمّتي فتركْنَ لي
رأساً يَصِلُّ كأنّه جُمّاحُ[٥]
وذكا بأصداغي وقرنِ ذؤابتي
قبسُ المشيبِ كأنه مِصْباحُ

---

(٣) معنى رياح : اي علي وقت من العشي ومثله رواج . وقوم يروونه بالكسر وليس بشي . وقال صاحب اللسان في (روح) : بكسر الراء فسره ثعلب فقال معناه وقت .

(٤) شفعت : صارت شفعا ، اي اصبح يرى الشيء شيئين كما يراه الأحول يصف بصره .

(٥) قال : كأنه جماح من املاسه . وجماح : سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمى به الطير وقيل : يصوت من املاسه .

التخريج :

الابيات من [١ ــ ٨] في امالي المرتضى ١/٣٧٠ ــ ٣٧١ والرابع بلا نسبة في اللسان [روح] ونسب السادس الى رقيع الوالبي في اللسان [جمح] .

ــ ٧ ــ

وقال الرقيع بن عُبَيد الأسدي :

١ــ لحى الله دهراً شرُّه دُونَ خيرِهِ
وَجداً بصيفيٍّ نأى بعد مَعْبَد

٢ـ بقيّةُ خُلاّني أتى الـدهرُ دُونَهم
فمـا جزعي أم كيفَ عَنهُـمْ تَجَلّـدي

٣ـ فلو أنّها احـدى يَـديّ رُزِيْتُها
ولكن يـدي بـانتْ على اثرهـا يـدي

٤ـ كأني وصَيفياً أخا الصِّدق لم نَقُلْ
ـ لموقِـدِ نـارٍ آخرَ الليـل ـ أوقِدِ

٥ـ فلستُ ببالٍ بعدَهُ اثر هالكٍ
قَدي الآن من وَجـدي على هالكٍ قدي

التخريـج :

الأبيات في المنازل والديار /٤٧١ ولباب الآداب /٤٠٨ وابيات ثلاثة مرتبة ترتيبا آخر ذكرت في الحماسة ٨٩٥/٢ ـ ٨٩٦ وروايـة الرابـع ـ .
كأني وضيعيا خليلي لم نقل ...
ورواية الخامس ...
فأقمست لا آسي على اثر هالك ...
ونسبت الى آخر في أخ له مات بعد اخ .
ويستدل من الأبيات انه قالها بعد أن انقطع ما بينه وبـين أخيـه صيفي بالموت ، فكأنه لم يجمعه واياه أخوة ووصال ، ولا ولادة ولبان ، فلم نترافد عـلى ابتناء مكرمة ، وايقاد نار لطارق ليل ، وطالب قرى وضيافة ولم نتعاون عـلى اقامة مروءة واسداء عارفة .

ـ ٨ ـ

وقال رقيع بن عبيد بن صفي[1] :

١ـ يا صـاحبيّ ألمّـا بي على الطّلَلِ
وحَيّيـا قبـلَ طول البَـيْن والشّغَلِ

(١) كذا ورد في المنازل والديار /١١٢ ويبدو أن اسم صيفي جاء مقحما لان صاحب المنازل والديار استشهد له بأبيات في رثاء صيفي .

٢ـ وما تحيّةُ دارٍ بعد ما دَرَست
الا مِعارفَ رسْمٍ هاج من خَبَلي

- ٩ -

وقال رقيع بن عبيد بن صيفي :

ألمْ تلْمِمْ على الدِّمن البوالي
ديار الحي في الحِجج الخوالي
عَفَتْها كلُّ مُعْصِرة ومَرٍّ
من الأيام بعدَك والليالي
فأبْقى من مَعارِفها قليلاً
عَيِّياً حين يُسأل بالسُّؤال
بها عمروا وكلُّ نعيم عيشٍ
من الدنيا يَصير الى زوالِ
همُ كانوا الحُماةَ وكان فيهم
ذَوو الأفضال والأيدي الطوال

- ١٠ -

قال رقيع بن أذيل الأسدي :

١ـ ومَوْلىً قد لَبسْتُ على هَنَاتٍ
والفٍ بانَ مِني غيرَ قالي

الأبيات في المنازل والديار /١٥٦ .
البيتان في حماسة البحتري ٢٤٦ . ويبدو ان تصحيفا وقع في الاسم فهو « رقيع » وفي الاصل تحريف في أذيل ولم نعرف شاعرا بهذا الاسم الا رقيع الأسدي وهو الوالبي . واسمه عمار بن عبيد بن حبيب اخو بني اسامة بن والبة ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن اسد .

٢ـ وَمنْ لا يَلْبَسَ المَولى مِراراً
على الأقذارِ ليس لهُ مُوَالي

- ١١ -

وللوالبي :

طَـولٌ وطُـولٌ فترى كَتَفَـهُ
يَنْهَـلٌ بالطَّوْلِ انهلالَ الغمامْ
وطولُـهُ يغتالُ يومَ الوغى
وغيره فَضْلَ نجادِ الحُسامْ

★ ★ ★

الابيات في أمالي المرتضى ٥٧٢/١ .